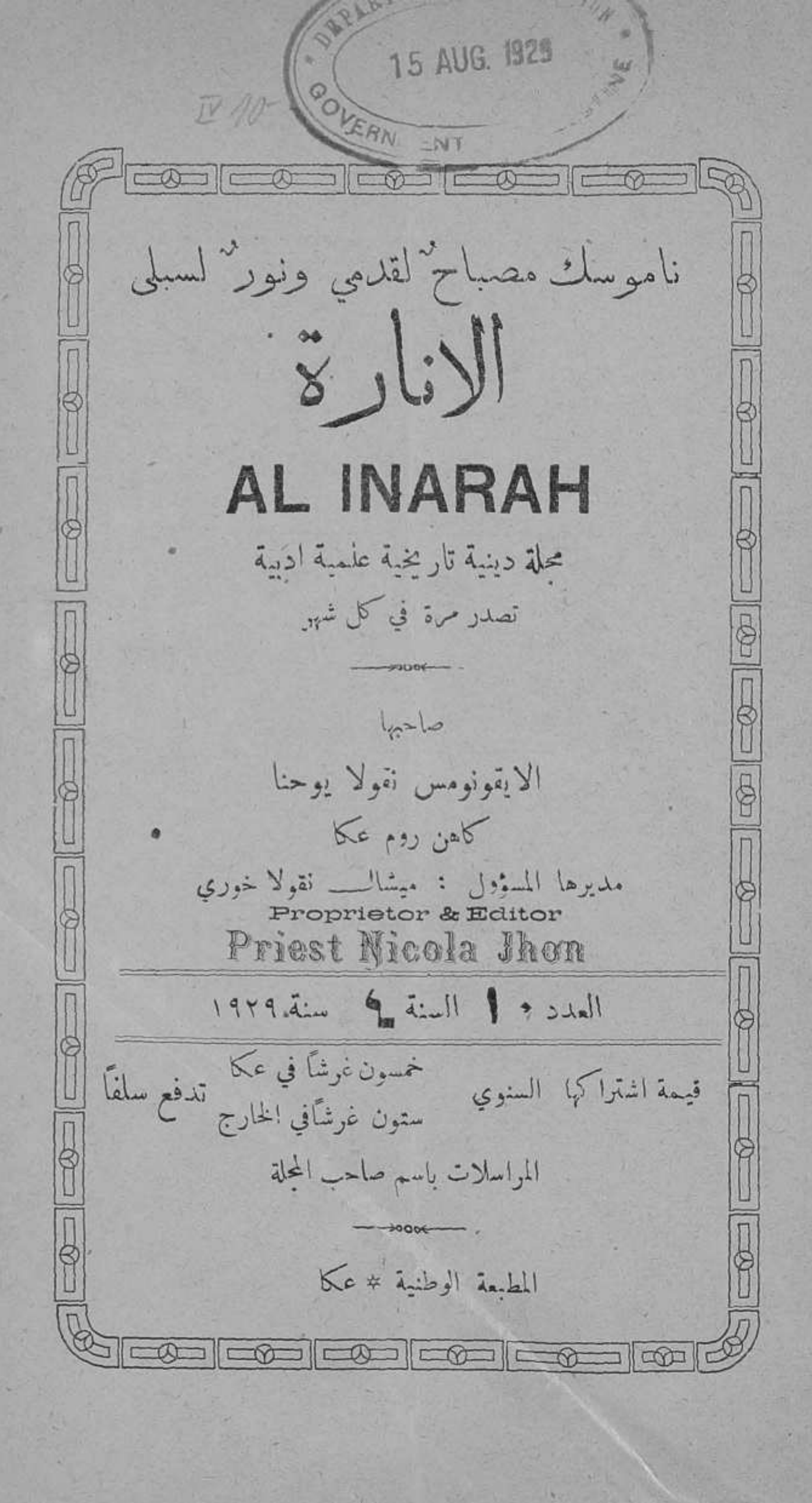


ناموسك مصباحٌ لقدمي ونورٌ لسبلي

الانارة

AL INARAH

مجلة دينية تاريخية علمية ادبية

تصدر مرة في كل شهر

صاحبها

الايقونومس نقولا يوحنا

كاهن روم عكا

مديرها المسؤول : ميشال نقولا خوري

Proprietor & Editor

Priest Nicola Jhon

العدد ١ السنة ٩ سنة ١٩٢٩

قيمة اشتراكها السنوي خمسون غرشاً في عكا / ستون غرشاً في الخارج تدفع سلفاً

المراسلات باسم صاحب المجلة

المطبعة الوطنية * عكا

السنة ٤ العدد ١٠

الانارة

مجلة دينية تاريخية علمية ادبية

عكا * حزيران سنة ١٩٢٩

في مواساة الفقراء

« احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا اتموا ناموس المسيح » (غلا ٦ : ٢)

اذا تأملنا بما يوجد في هذا العالم العظيم من الارتباطات الطبيعية والهيئات الاجتماعية نجد ان كل امة كبيرة كانت ام صغيرة تشبه عائلة . فكما ان كل عائلة تحتاج لكي تدوم وتنجح الى امور متعددة واشياء مختلفة كذلك ايضاً كل امة . وكما انه توجد عائلات غنية وعائلات فقيرة كذلك توجد امم غنية وامم فقيرة . وكما انه يلتزم طبيعياً وادبياً بمساعدة الضعفاء والفقراء المقتدرون والاغنياء كذلك يلتزم بمساعدة الامة او الطائفة الفقيرة المقتدرون فيها والموسرون . واذا تقرر ذلك فمن يقدر الان ان

يذكر بان طائفتنا الارثوذكسية في فلسطين بالنظر الى حالتها العمومية توجد في حالة فقرية ؟ نعم مـا هو عار علينا ان اعترفنا جهاراً بفقرنا لان الفقر والغنى هما على الغالب نتيجة الظروف والازمان هذا فضلاً عن اننا لو اردنا فلا نقدر ان نستر فقرنا لان جميع احوالنا العمومية تشهد لدى الملا بكون اكثر ابناء هذه البلاد في درجة العوز والاحتياج . واذ الحالة هذه من منا يقدر ان يسد حاجات المحتاجين ويخفف ويلات البائسين سوى المقتدرين والموسرين ؟ كيف لا . وان هـذا . ما يقودنا اليه الناموس الطبيعي هذا ما يعلمنا اياه الناموس الادبي هذا ما يامرنا به الناموس المسيحي بلسان بولس الرسول قائلا « احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا اتموا ناموس المسيح » اسي ليخفف الاغنياء فيكم والمقتدرون ويلات الفقراء فيكم والمحتاجون وبهذا تكونون قد اتممتم ناموس المسيح الآمر بالمحبة لبعضنا بعض والرحمة للمعوزين

ولا انكر انه منذ سنين كثيرة قد صارت عناية خصوصية في الطائفة بشأن الفقراء والمساكين والفضل بذلك لبعض رجال فيها ذوي غيرة قد اخذتهم الحمية المسيحية واستفزتهم الشفقـة الانسانية على اخوتهم الفقراء فالفوا جمعيات خيريه في اكثر المدن والبلدان التي منذ تأسيسها حتى الان كم من ارامل فقراء قد عضدت ويتامى مقطوعين قـد سندت وويلات فظيعة عن اخوتنا المعوزين قد دفعت هذا لا ينكره الا من كان عدو

الخير والاحسان . ولا يظن احد اني بقولي هذا احصر الفضل في اعضاء هذه الجمعيات الاكرمين فان المسعفين لها في الطائفة لكثيرون الذين لا تصمت عن الهذيذ بشكرهم قلوب الفقراء والمحتاجين . ولكنني لا اقدر ان اصمت من الجهة الاخرى عما يظهره البعض من المقتدرين في الطائفة والموسرين نحو هذه الجمعيات الخيرية بل نحو عمل البر والاحسان من الفتور والاهمال اللذين يكادان ياتيان بها الى السقوط والانحلال . ولكن يا للعجب العجاب هل فاتهم ان مساعدة الفقراء فريضة واجبة عند كل امة فضلاً عن الاوامر الالهية التي تقضي على كل فرد منا باسعاف المسكين معدة للمحسنين اجراً عظيما واذا عرفوا ذلك فما بالهم قد سدوا اذانهم لئلا يسمعوا بكاء الارامل ونحيب اليتامى . واغمضوا عيونهم لئلا ينظروا مشهد ويلات المقطوعين والمحتاجين الذين يرق لهم القلب ولو جلموداً ؟ فاين الرحمة المسيحية ؟ اين الشفقة الانسانية ؟ فاين الشهامة الوطنية ؟ اين الذين يسمعون اقوال الرسول القائل « احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا اتموا ناموس المسيح »

ولكن ربما يعترض البعض قائلين : نعم ولا ريب في ان حاجات الامة عديدة وكثيرة فهي تحتاج لمساعدة الفقراء والمساكين وتحتاج ايضا لاسعاف بعض المدارس والكنائس وتحتاج لاصلاح حال الجمعيات الخيرية والاندية الملية وتحتاج ايضا اموراً أخر كثيرة مما يأمرنا به العقل والدين

ولكن كيف نقدر ان نقوم بسد جميع هذه الاحتياجات نحن الذين نظراً لوقوف الاشغال وعسر الاحوال لا نكاد نقدر ان نقوم بمصاريفنا اليومية وبسد احتياجاتنا الخصوصية . انني اقبل هذا الاعتراض ان لم يكن كله اقلها جزءاً منه وهو اننا جميعاً لنا احتياجات خصوصية ولكن اسألكم ايها المعترضون قائلا : ترى احتياجاتنا هذه الخصوصية هي اعظم واهم من احتياجاتنا العمومية . او يا ترى هي احتياجات حقيقية ام بالاحرى ان يقال هي احتياجات صورية تتطلبها الزينة الباطلة التي لسوء الحظ منذ امد ليس ببعيد قد داهمت بلادنا . لا شك ان لم تكن جميع احتياجاتنا هذه الخصوصية اقلها ثلاثة ارباعها هي لاجل الزينة الباطلة والفخفخة الفارغة . ولكن اعلموا انه طالما ماثنا حد في الزينة والفخفخة سوى مداخلينا السنوية وارباحنا اليومية فبلا شك في اي وقت اضطرنا الامر لعمل الخير والاحسان نجد ذواتنا في ضيقة واحتياج . بناءً عليه ان كنتم حقاً تريدون ان توفي مداخليكم لسد احتياجاتكم الخصوصية واحتياجات ملتكم العمومية فيجب عليكم ان توفروا جزءاً من المصاريف الزائدة التي تبذلونها في سبيل الزينة الباطلة والفخفخة الفارغة . نعم اقطعوا قليلا من مصروف الفرج والنزهات اقطعوا قليلا من مصروف الجنائن والقهاوي والسينما اقطعوا قليلا من مصروف الملابس والاثاث اقطعوا قليلا من مصروف المأكولات والمشروبات وبقية الاشياء غير اللازمة ان لم اقل المضرة فتغدوا حينئذ

في كل ساعة قادرين على عمل الخير والاحسان

كيف لا . وان التاريخ يعلمنا والاختبار اليومي يؤكد لنا انه لم يكن ان تدوم امة على الارض وتتقدم بدون اظهار انكار ذات عمومي من قبل جميع افرادها . هذا فضلا عن ان طائفتنا في فلسطين وقاطع الاردن لا تحتاج والحمد لله الى امور عظيمة واتعاب جسيمة لكي تصطلح احوالها وتتحسن امورها بل يكفي ان يقدم كل منا على قدر امكانه ولو فلسين مثل الارملة التي اتى على ذكرها الانجيل المقدس فتتحسن حالة فقرائنا . يكفي ان يظهر كل منا قليلا من انكار الذات فتسير طائفتنا في طريق التقدم والنجاح يكفي ان نصب عليها قليلا من زيت الرحمة وخمر المحبة فنضمد جراحاتها . ولكن ما زلنا لا نهتم بصالح طائفتنا العمومية فلا امل ان نتقدم البتة . ولا سيما ان التاريخ العمومي يشهد والاختبار اليومي يؤكد بانه في كل مكان وزمان يتوقف نجاح الصوالح الخصوصية على العمومية .

ولربما يظهر هذا الكلام ثقيلا على مسامع البعض من ابناء الملة ولكن لا اظنهم يتكدرون لعلمي الاكيد اني اقول حقيقة وحقيقة مثبته ليس من العقل والتاريخ والاختبار فقط بل من ديانتنا القويمة ايضاً اذ ان بولس الرسول يقول لنا صريحاً « احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا اتموا ناموس المسيح »

لا اريد ان اطيل الشرح اكثر مما ذكرت مؤملا ان ما ابنته الان

كاف لان ينهض حمية كل فرد من ابناء الملة المبادرة على قدر الاستطاعة لعضد ما يوجد عندنا من الجمعيات والنوادي الخيرية حباً باتمام اوامر مخلصنا العظيم يسوع المسيح رئيس ايماننا القويم حباً بمواساة اخوتنا الفقراء والمساكين حباً بشرف الملة ومجد الكنيسة الآمرة بالرحمة والمحبة لعموم المحتاجين ولا سيما الاخوة في الايمان بربنا يسوع المسيح الذي ينبغي له المجد والاكرام والسجود الى ابد الدهور امين

حقيقة التمدن
في ماهيته وقوامه

التمدن في اللغة التخلق باخلاق اهل المدن وعوائدهم وفي اصطلاح هذه البلاد يعرف بحسن اللباس ونظافته ولطافة الحديث واكتساب لغة اجنبية واقتباس لباس وحركات الاجانب

وفي الحقيقة هو غير ذلك لان الانسان انما يتميز عن سائر الحيوانات بالنفس الناطقة فقط وهو مخلوق على صورة الله ومثاله · ومتى كانت النفس فاعلة فالانسان مميز لانه يرى ويخترع ويرتب ويفطن ويحكم ويفعل افعالاً

عظيمة وهذا خارج استطاعة المخلوقات الاخرى . واذا ما فعلت النفس لا يتميز عنها لانه يضيع شرفه ويحط بقدره الى درجة الحيوان غير الناطق فيقال عن الانسان الذي لا يقدرها حق قدرها انه حيوان وذلك يدل انه خرج عن دائرة الانسانية لعدم اهتمامه بحقوقها

واشعياء النبي يقول « نظرت فليس انسان » مع انه كان فيما بين جمهور من شعب اسرائيل وهو يعني بهذا ان السالكين في الباطل لا تطلق عليهم الانسانية لانه يقول ايضاً : ها كلهم باطل واعمالهم عدم

لربما ان اللغة اطلقت التمدن على التخلق باخلاق اهل المدن من حيثية اسم المكان الجامع على ان الالفة من شانها المعاشرة . والمعاشرة ان كانت حسنة تكسب الانسان فوائد ادبية لا ينكر ذلك الا المكابرون . فاذاً التخلق باخلاق اهل المدن هو واسطة من وسائط التمدن . غير انها ليست بمضطردة . لانه قد يكون ان اهل مدينة لا يزكنون شيئاً اخر سوى امر البيع والشراء ومع ذلك يتوغلون بالملاهي مفتخرين بالاباطيل . فمثل هؤلاء يستحقون ان يدعوا متمدنين باعتبار . لكن التخلق باخلاقهم ليس من شانه ان يجعل الانسان متمدناً بل يكون مضاداً التمدن

اما ماهيته في اصطلاح البلاد فوهم باطل لان نظافة اللباس مع وسخ الضمير ليست بشيء . ورقة الحديث مع غلاظة القلب ليست بحميدة واكتساب اللغة الاجنبية واقتباس لباس وحركة الاجانب مع الجهالة

بالخقائق الدينية التي نشأ عليها الانسان المتمدن منذ الفطرة وعدم مماثلة الاجانب باعمالهم الصالحة هي اسباب للعار والاهانة والتقهقر الى حالة دنيئة فلا التخلق اذاً باخلاف اهل المدن ولا النظافة واللطافة واللغة واللباس والحركة الاجنبية تفيد شيئاً من التمدن الحقيقي انما بالكمال الانساني تعرف حقيقة التمدن ومن سعى بطلب هذا الكمال يدرك هذه الحقيقة

فاذاً

التمدن هو الانسان الكامل الذي يحسن التصرف ببرهن شرف الانسانية الممنوح لان لكل امر برهاناً · فان برهن الانسان شرفه بالكمال الانساني يحق له ان يدعى متمدناً والا فلا

وهذا الكمال يقوم بامرين الحكمة والصلاح · فلكي نكون حكماء يجب ان نتعلم ولكي نكون صالحين يجب ان نعمل اعمالاً صالحة ولهذين الامرين وسائط ان اتخذناها نفوز بها · فالحكمة هي قسمان ادبي وديني وكذا الاعمال الصالحة منها ما يخص عباد الله ومنها ما يخص محبة القريب وسنتكلم عن كل

الدينية قسمان · قسم يحتوي على العلوم الاتية : الاداب اي تهذيب الاخلاق والاعتقادات الاساسية والعلوم اللازمة · وهذه يتعلمها التلاميذ لكي يكونوا رجالا في الاراء · ولا يبقوا هدفاً لسهام المخالفين فيعدموا رجاهم بجيل الاهواء ولكي يلبثوا في العمل الصالح و يتقدموا فيه ولا يجنحوا

الى الشر بغباوتهم فيرجعوا خاسرين حتى اذا حان لهم ان يتزوجوا يحسنون ادارة البيت ويعتنون بتربية الاولاد ويطلق عليهم لقب التمدن بواجب . وقسم يدخله عدد من هؤلاء التلاميذ ينتخبون من الافضل عقلا والاجود صحة والاوفر اجتهاداً والاشد غيرة يتعلمون باكثر تعمق ما هو لذواتهم وما هو للاخرين . يتعلمون واجبات الوظائف الكهنوتية والنواميس والترتيبات الكنيسية وكيفية السعي بصالح الرعية الروحي . يدرسون العلوم اللاهوتية ويصرف الجهد ان يكتسبوا خصالا حميدة تساعد الكاهن على ايفاء الواجبات . وتؤهله لان يكون مثالا صالحاً للاخرين . شهيراً باتقان الخدمة والوعظ والتعليم . كمدينة موضوعة على رأس جبل . منيراً من هم في ظلام الجهل والخطيئة كسراج لامع موضوع على المنارة . والغاية ان يضحي تلاميذ هذه المدرسة اهلا للقبول في درجات الكهنوت قانونياً

والطريقة في ذلك ان يتدرج التلاميذ . يعني انهم يتعلمون اولا في المدرسة العلمية ثم في القسم الاول من المدرسة الدينية . وبعد ان يتعلموا فيه حسب قوانينه ينقل المنتخبون الى القسم الثاني . لانهم بواسطة ذلك يستطيعون على التعمق بسهولة من حيث انهم يكونون تمرنوا جيداً واتقنوا الوسائط الموصلة الى الغاية المقصودة . فلا يحتاجون وقتاً طويلا في تعلمهم ولا يخفى اننا مفتقرون لمثل ذلك . الذي هو اول وسائط النجاح الجوهري

لانه متى كان الاكليروس حاصلاً على العلوم المطلوبة . فالشعب يتمتع بفوائد مختلفة ويقدم للاكليروس اعتباراً ووقاراً

فان اشار الكاهن او وعظ وعلم يرضخ الشعب لكلامه بشكر وسرور لانه لا يتكلم من عنده ولا يري غير ما يفعل . بل الذي يدرسه من كلام الله اياه يعلن . والذي سبق ففعله اياه يعلم . لان من علم غير عامل فكلامه لا يؤثر في القلوب . فان يسوع المسيح قال « من عمل وعلم يدعى عظيما » قدم العمل على التعليم . على ان المعلم يجب ان يكون عاملا ما يعلم به . العامل له ان يعلم وتعليمه يؤثر كما هي خاصة كلام الله . فمن الضروري الذي لا مناص منه ان يكون الكاهن عالمًا تقياً ليستطيع بحكمة متزايدة واجتهاد عظيم وغيرة متقدة ان يقوم بواجبات الوظيفة متقيداً بها كل التقيد . فان الاباء القدماء الذين احسنوا التصرف في بيت الله . وحازوا قصبة السبق في ميدان الجهاد الروحي لم يكونوا من الاميين بل كانوا حكماء بهذا المقدار واتقياء وكان ينتخب لدرجات الكهنوت الافضل في كل شيء فتطلب الكنيسة من حصَّلوا وسائط جليلة لانتشار الايمان واتساع دائرة التقوى مثل هؤلاء . وخلوا من مدرسة دينية لا يمكن ان تخطى برغوبها نعم يوجد اشخاص اجلاء مقتدرون . وبلا شك ان ذلك هو من بركات العناية الالهية التي لا تهملنا ولو اهملنا نحن ذواتنا

لكن المطلوب ان يكون الاكليروس عموماً حكماء اتقياء وبذلك نفوز

بالنجاح . فاذاً المدارس هي ضرورية بهذ المقدار والمدرسة الدينيه هي اشد ضرورة لانها الواسطة الاولى والعظمى للحصول على الحكمة التي هي احدى ركني التمدن الحقيقي . فمن هم الذين يهتمون بالمدارس هـل الاموات او الاحياء ؟ لعمري ان الاحياء يفعلون ذلك لانهم يستطيعون . وهل الاجانب او ابناء الوطن ؟ ان الاجانب ولو انهم مقيمون بالوطن . لكن يحتسبون ذواتهم غرباء يعتبرون انهم غير ملتزمين . لذلك لا يعملون وعلى مقتضى مذهبهم هذا يعذرون . مع اننا نرى ان الاجانب الاخرين يصرفون جهداً عظيماً في نجاح الوطن الشرقي لانهم على ما يتضح انهم يعتبرون كلام الله معتقدين ان الذين بالمسيح جميعهم ابناء وطن واحد نظراً لرباط الايمان الذي من شأنه ان يجعل المؤمنين شديدي الاعتصام كاخوة لا يتوسط بينهم مكان ولا يقولون هذا قريب وذاك غريب

لها تابع

حكم

علامة الكرم الجود وعلامة اللوم الجحود . وعادة الكفران تقطع الاحسان فاشكر الاحسان تستحق احساناً



وفاة وجيه جليل

بعد ظهر يوم الجمعه الواقع في ٢٩ من شهر حزيران حساباً شرقياً الساعه الثالثة ونصف زوالية استأثرت رحمة الله تعالى بالشيخ الجليل المتعبد لله المرحوم يوسف موسى عواد الناصري وطناً الارثوذكسي مذهباً وله من العمر ٧٣ سنة قضاها منعكفا على الصلوات ومثابراً على عبادة مولاه وفعل الخير وقد خدم كنيسه البشاره اذ تولى وكالتها سنين كثيرة فعمر لها عدة دور للسكن كل دار مستقلة بذاتها مستوفيه الشروط بمنافعها وفسحاتها لغرس الاشجار والخضروات والزهور معدة للاجار والاجرة تدخل على صندوق الكنيسة وفي جميع السنين التي تولج الوكالة بها كان عنوان الصدق والامانة والجد والنشاط ساعياً بهمة لا يعتريها كلل لرقيها ورفعة شأنها وتكثير وارداتها وما انتشر نعيه في مدينة الناصرة وغيرها من المدن كعكا وحيفا وخلافهما والقرى المجاورة فاسرع القوم على اختلاف طبقاتهم الى دار الفقيد ونخص بالذكر منهم انسباه والاقرباء يعزون ابنه الوحيد ضيف الله افندي ومشاركيه في الحزن والاسف لما كان عليه

رحمه الله من السجايا الكريمة والصفات الحسنة والمودة نحو انسبائه وكل معارفه

وثاني يوم وفاته السبت في الساعة الرابعة زوالية سير بجنازته الى كنيسة البشارة محمولا على اكتف القوم وامام جثمانه وورائه الجم الغفير على اختلاف الملل يتقدمهم اليسقجية والصليب الكريم واعضاء الجمعية الخيرية باشاراتها السوداء حاملة بساط الرحمة واكاليل من الازهار ولفيف كهنة الابرشية الورعين بالتراتيل . ولما بلغوا الكنيسة وضع صندوق جثمانه على منصة فصلى عليه صلاة الجناز لفيف الكهنة ثم رفع وسير به الى المقبرة فاودع اللحد باحتفال واكرام وانصرف القوم آسفين داعين بطول بقاء ابنه المحبوب الذي لهم ببقائه العوض والتاسآت وفي مساء يوم الاحد توافد القوم على اختلاف اجناسهم ومللهم ورتبهم من قضاة وموظفين في دوائر الحكومة وجمهور كبير من الوجهاء والاعيان وعموم ابناء الطائفة لدار الفقيد لتعزية ابنه المحبوب وآله وفي يوم الاحد خدم لفيف الكهنة القداس الالهي عن نفسه وفي الختام صلوا على النياحة وخرجوا جميعهم وتوجهوا لبيت الفقيد ليقدموا لولده احسن العزاء

ولما كان قد انتشر نعيه في المدن المجاورة كعكا وحيفا وطبريا وصفد وبيسان وجنين وخلافهم كانت ترد على ابنه الشهم الاديب رسائل التعازي البرقية من جهات مختلفة حيث انه معروفاً عند الجميع ومحبوباً

ومكرماً من كل معارفه

فنسأل المولى عز وجل ان يطيل لنا سني حياته مقرونة بالصحة والعافية والتوفيق ناجحاً في كل اعماله . ويسقي ثرى ضريح الفقيد العزيز سحب المراحم ومزن الرضوان ويسكنه فسيح الجنان برحمته ولطفه ويعوضنا سلامة آله الكرام ويوليهم الصبر الجميل



كيف ترتقي الامم

لوطني فاضل غيور

من اسرار تقدم الامم ان يكون الفرد متمدناً اديباً واديباً عاملا لان التمدن هو المقرون بالاداب والعلم النافع هو المتحد بالعمل والا فليس ذلك متمدناً بل طفيلي

وان يكن الفرد حراً جريئاً مدركاً قدر ومقام الانسان تجاه اخيه الانسان فلا يند عنه انه ليس عبداً بل حر وحريته تملكه حقوقاً هي له فلا يرضى بامتهانها وحريته الباصرة العادلة ترفعه عن التطاول على حقوق غيره وحريته العزيزة تنزع منه الخوف عند التكلم بالصدق فلا يغضي

على قذى ولا يصبر على ضيم . فاذا ما مسه صغار وحقارة نهض بجرأة حرة من ذلة وقيد متمثلا ممن وضع شرف نفسه ضمن اطار (كتب عليه المنايا ولا الدنيا)

وان يكون الفرد كالحكم العادل في كل الشؤون معوانا لذي الحق نصيراً للمظلوم لا ينصرف عن وجهة الحق ولو برقت امام عينيه الوان قارون ولا ينحرف الى غادر وجيه ولا يدافع عن مجرم ولو كان بينهما صلة قرابة بل يجري مع القضاة في وجوب الاقتصاص من قاتل اثيم وسارق لئيم وكاذب دنيء ومزور فاجر . . . وان يكون وطنياً غيوراً فيدأب على السير في سبيل اعلاء الوطن ارتقاء وعزة وعلماً وقوة وعملا نامياً غيوراً على الذب عنه والدفاع عن كيانه والنمي لابنائه والحياة لمادياته وادابه فيبكي اذا اخنى الدهر على مواطنيه ويفرح اذا رآهم راغدين ويدفع عنهم النكبات ويجبر العثرات بكل قواه ويكون الطبيب اذا اعتلت المصالح والدليل اذا ضلوا

هذا هو شأن الامم التي تألفت من افراد اعزاء وتلك هي الامم التي بني على متهدم اجساد احرارها البواسل قصور مهابتها وقلاع منعتها ورفع على متون هممهم كرسي ملكها المتوج ومدمن معدن باسهم صولجان اميرها واسياف فتحها واستعمارها وسكت من جواهر مساعيهم الدراهم والدنانير وصارت قفارها جنات زاهرة ونطح روق اعتلائها الجوزاء ومست بنايات

مدنيتها السحاب واذري بدر عمرانها بيد ر الجوفى دائرة نيرانه

ذلك لان رجالها اعتمت شرفا وتمنطقت ترفعا وتلقنت باساً وعدلاً رجال لا يرضون عن اعمال شائنه تصدر حتى من مواطنيهم لانهم لا يرضون بتحقير وطن يصغر في جانب سوءدده سفك الدماء ولكم اراقوا من دماء وهدموا من معاقل صونا لخطره ودفع خطره وبمثل ما عملوا نالوا سبقاً في العدل والاخلاق وبمثل ما نالو عزت اوطانهم ونخرت . حباهم الله فهكذا هكذا يعلو الوطن بعلو الرجال والا فلا لا . . .

اي بني الوطن اني اسمع انينا واعوالا — اسمع للاحياء فيه جلبه وضوضاء اسمع للاموات الذين رقدوا صراخاً معناه — الاستفسار عن ذهاب الوطن من ايدي ابنائهم واحفادهم وهم وزعماءهم منهمكون بالمشاحنات والمقاومات وبعضهم بالمقامرات والاعمال الشنعة غارقون في ملذات الحياة الفانية ومع كل هذا يزعمون انهم زعما حرية الوطن ودعاة ارتقائه وفلاحه . اين طلاقة الالسنة والضمائر وحريتها ؟ اين الصدور الضامة الهمم ؟ اذهبت ذهاب الاحلام وفرت فرار كلام الليالي ؟

اي بني الوطن ان فسحات الارض المتفرقة جهاتها حيث رقدت الاعزاء من اهلنا ومواطنينا تهتز اهتزاز البركان اهتزازاً يحكي هزيم الرعـد فاين النبلاء ذوو النجدة ذوو الاذان السامعه ملبون النداء الذين يأنفون من ان يروا في كل يوم صورة من مأساة لم تمثل فصولهـا الا على

يدي ملوك العموتيين اني ارى النبلاء فاعلين على رفع شأن وطنهم ان شاء الله

الساعة آلة دقيقة التركيب موءلفة من اجزاء صغيرة كل منها يقوم بوظيفة خاصة . فلو اخذنا هذه الساعة وفككناها الى اجزائها العديدة ثم ركبنا هذه الاجزاء اعتبطاً ولم نضع كل جزء في محله الخاص فماذا يحدث يا ترى ؟ تقف الساعة عن الحركة ولا تعد تقوم بالنفع المنتظر

هذا النظام الشمسي . الشمس في الوسط والسيارات حولها تدور في افلاكها متبعة بكل دقة نواميس الجاذبية والحركة فماذا يحدث يا ترى لو اختل التوازن بين هذه الاجرام ؟ يحدث تشويش في نظام الكون وربما قضي علينا بالموت الزوءام والهيئة الاجتماعية تشبه في تركيبها الساعة الدقيقة والنظام الشمسي . وكل فرد فيها يقابل جزءاً من اجزاء الساعة وعضواً من اعضاء الجسد ولكل فرد عمل خاص يجب ان يقوم به والا احدث تشويشاً في المجتمع يقاصصه الله عليه

والانسان في المجتمع مقيد بقيود اكثر من قيود جسمه وصحته الا وهي قيود التعاون والتكاتف وعقد الخناصر والانضمام بروح الوطنية والمعاضدة حيث تتوطد دعائم العمران اذ ان ناموس الانضمام يقتضي ان يكون الجزء في الساعة والسيارة في النظام الشمسي والعضو في الجسد الانساني والفرد في الهيئة الاجتماعية وعلى هذا القياس فكونوا يا ابناء القطر الفلسطيني رجالا للعمل بيد واحدة في بلادكم والاتحاد لضمان رقي فلسطين واعتزاز الفلسطينيين

سر الزيجـة
تابع لمـا قبـله

ثالثاً . ان النعمة الالهية تساعد العروسين مدة حياتهما على ان يتمما الواجبات المفروضة على كل منهما نحو الاخر طبقاً للنموذج السامي في اتحاد يسوع المسيح بالكنيسة (كما تقدم القول) حسب وصية بولس الرسول «ايها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح الكنيسة وبذل نفسه لاجلها» (اف ٥ : ٢٥) «وكما تخضع الكنيسـة للمسيح كذلك لتخضع النساء لرجالهن في كل شيء» (٥ : ٢٤) . فلو لم تتأيد القوى البشرية بالنعمة الالهية اذن وبمعاضدتها يتمم الزوجان المسيحيان واجباتهما كل منهما نحو الآخر مـدة حياتهما ويتممان ايضا كل مقاصد اتحادهما بالزواج كما سبق الشرح فيا لعظم هذا السر المقدس . كيف لا وهو يقرن الجسد بالجسد فيكونان جسداً واحداً . ويجمع بين الروح والروح كما قال الذهبي الفم (في المقالة ٢٠ : ٥) على رسالة افسس)

في اوصاف الزيجة المقدسة الموضحة كونها سراً

اولا . ان الوصف الاول من اوصاف الزيجة عندنا هو ان ديانتنا المسحية تمنع منعاً قطعياً كثرة النساء ولا تسمح بالاقتران باكثر من امرأة

واحدة . وهذا الناموس هو الذي وضعه الله منذ البدء في الطبيعة البشرية بالنسبة الى الزيجة . فقال الكتاب المقدس « وخلق الله الانسان ذكراً وانثى خلقهما » (تك ٦ : ٢٧) ثم قال ايضاً « وبنى الله الضلع التي اخذها من آدم امرأة واتى بها آدم فقال آدم » الخ وقد ثبت ربنا يسوع المسيح هذا الناموس وشرحه بقوله « ان الذي خلق الانسان منذ البدء ذكراً وانثى خلقهما وقال لاجل هذا يترك الانسان » الخ .

والقديس بولس الرسول يعلم هـذا التعليم بعينه فيقول « كل واحد فلتكن له امرأته . فالمرأة لا تتسلط على جسدها بل الرجل . ومثلها الرجل ايضاً لا يتسلط على جسده بل المرأة » (١ كو ٧ : ٢ — ٤) وقد مثل هذا الرسول اتحاد الزوجين المسيحيين بالزيجه بصورة اتحاد المسيح والكنيسة فقال « لان الرجل هو رأس المرأة كما ان المسيح راس الكنيسة وهو مخلص الجسد » (اف ٥ : ٢٣) وهذا التعليم في شريعة الزواج هو تعليم الاباء القديسين ومعلمي الكنيسة ايضاً عموماً

ثانياً . ان الوصف الثاني للزيجة المسيحية هو عدم الانفكاك وهذا الوصف ايضاً نتيجة طبيعية من الشريعة الاولى التي اشترعها الخالق في امر الزواج وسطرها في الطبيعة البشرية . وقد شرحها مخلصنا له المجد لما جاء اليه الفريسيون وسألوه « هل يسمح للانسان بان يطلق امرأته لاجل كل علة » فاجابهم قائلاً « الم تقرأوا ان الذي خلق الانسان في البدء ذكراً

وانثى خلقهما وقال لهذا يترك الانسان اباه وامه » الخ . « فما ازوجه الله لا يفرقه انسان » وكذلك الرسل القديسون ايضاً قد اعلنوا تعليم مخلصنا يسوع المسيح عن عدم جواز فسخ الزواج واوضحوه . فان بولس الرسول يقول « اما المتزوجون فاوصيهم لا انا بل الرب بان لا تفصل المرأة عن رجلها وان فارقته فلتبق غير متزوجة او فلتصالح رجلها وان لا يترك الرجل امرأته » [١ كو ٧ : ١٠ و ١١] وفي محل اخر يقول « لان المرأة المتزوجة هي مرتبطة بالناموس برجلها مادام حياً . فان مات الرجل برئت من الرجل فمن ثم مادام رجلها حياً تدعى زانية ان صارت لرجل آخر » الخ [رومية ٧ : ٢ — ٣]

الآن ربنا يسوع المسيح نفسه قد اوضح علة واحدة فقط تقتضي فك رباط الزيجة هي علة الزنى حيث قال [ان من طلق امرأته لغير علة الزنى وتزوج باخرى يزني] [مت ١٩ : ٩] و [من طلق امرأته لغير علة الزنى يجعلها تزني] [مت ٥ : ٣٢] وكذلك قوانين المجامع المقدسة الرسولية المسكونية والمكانية وقوانين الاباء القديسين الخصوصية لا تذكر غير هذه العلة لفك الزيجة وتلاحظ انه عند وقوع حادث مثل هذا ايضاً حين ان امكن حفظ رباط الزواج بمصالحة الزوجين فيكون الزواج غير منحل وان لم تكن مصالحة فالمذنب لا يؤذن له بعقد زواج جديد اصلا

من اين والى اين

لماذا هذه الارض قد اكتست بجميع انواع الجمال ولماذا وجدنا نحن عليها ؟ اتسالنا مرة ما عن ذلك ؟ وهل افتكرنا من اين اتينا ؟ ومن نحن ؟ والى اين ذاهبون ؟ نعم من ان اين اتينا : اتينا من الله بالنفس ومن تراب الارض بالجسد . فنحن اذاً مزيج عظمة وحقارة . وعليه يلزم ان نكون متضعين لحقارة جسدنا وكما اننا من الله ايضاً يلزم ان نجتهد رغماً عن حقارة جسدنا الترابي ان نترفع الى الله

ومن نحن ملاك مطرود وملاك ساقط لا يزال يتذكر ايام النعيم . مسافر على ارض غريبة محمول على تيار هذا العالم . فماذا يصنع الملاك المطرود والملاك الساقط ؟ الا يجتهد باسترجاع ما فقدت يداه ؟ وما رجاء المسافر في ارض غريبة والراكب اخطار البحر ؟ اليس الوصول الى المينا الامين والوطن المحبوب ؟ فما بالنا سكارى بخمرة هذا العالم نضرب خيامنا على هذه الارض الغريبة وننسى السماء ذلك الوطن المحبوب الذي لا يلزم ان تتحول عنه انظارنا

الى اين ذاهبون . بالرضى او بالرغم نحو الابدية فطوبى لنا ان تذكرنا املنا وابانا الذي في السماوات.ولم ندنس توبتنا باوحال واقذار

الارض وسرنا على عجل متقلقلين متحرسين كيلا تمزقنا شوك الطريق وشخصنا دائماً باعيننا نحو السماء فلم ننظر لرجسات الارض . وتعساً لنا اذا دسنا بارجلنا العطايا الالهية وامتنانها قبل ان تثمر . ويا اعظم الشقاوة اذا لم تندم نفوسنا بحرارة تائبة الى الله الذي خلقنا وخلق لنا هذه الارض المزدانة بجميع انواع الجمال

اقوال حكمية

في التواضع والكبرياء

قال السيد المسيح « من اراد ان يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ومن احب ان يكون سيداً فليكن لكم عبداً »

كبرياء الانسان تضع منه . وتواضعه يزيد في كرامته . كن متواضعاً في كل اعمالك ليدفع الله عنك كل اعدائك

التواضع نعمة والكبرياء نقمة

التواضع موهبة والكبرياء مصيبة

التواضع صحة والكبرياء مرض

التواضع علامة العقل والكبرياء علامة الجهل

التواضع يستر اكثر العيوب والكبرياء تخفي احسن المحاسن

العادة

ان العواطف الادبية التي يقصد ترسيخها في اذهان الاولاد ينبغي ان تثقف الى ان تصير عادات غريزية لانه بها يتمكن من افادة الولد الى مظهر جديد من مظاهر الحياة يستطيع فيها ان يمارس قواه المعطاة له ممارسة قانونية بحيث تعود عليه وعلى عموم الامة بالنفع العميم ولها التأثير العظيم في الانسان لانه مهما قويت غرائزه (ولا يخفى ما للشهوات من الشأن العظيم والفتك الذريع في بعض الاحوال) ففي العادة سهام حداد وسيوف قواطع يقد بها دائرها وتفل بحدها مهزومة لذلك شاع بين الناس ان العادة طبيعة ثانية . ومن المعلوم ان اننا نخلق ولا اثر لها فينا فعليه يكون غرسها موكولا الينا وزمام صفاتنا الادبية موضوعاً في ايدينا فنقودها كيف نشاء

ان العوائد الادبية التي ينبغي تقويتها وتغذيتها بالتهذيب هي تتعلق بالافعال الحسنة ولا محك للفضائل سوى ظهورها بالفعل والا فلا استطاعة لنا على تحقق وجودها وعليه فالشعور المستقيم الجدير بالاعتبار ينبغي ان ترافقه الافعال النبيلة لان التثقيف الادبي لا يفترق عن الافعال الادبية وعليه فالاولاد الذين هم مهيؤن للسير طوع العواطف الادبية ينبغي ان نبرز لديهم تلك الاداب الى حيز الفعل لكي يتمكنوا من درسها حسياً

فتلك الحكومة واولائك الاولاد الذين هم بعض اعضاء شعبها يجب ان تظهر العواطف المستقيمة في الافعال النبيلة لكي تؤهل افراد الامة الى الشعور بالواجب والعمل به فيحيى جسم الامة وتتوج هامته بتاج الرفاهية والامن ·

والعادة قوة ليس في وسعنا ايجادها في الاولاد او استئصالها لانهم من طبعهم ميالون الى الحركة فلا يخضعون الى الهدوء والسكينة اذ لا يمكن توقيف نموهم · وعليه فلا نستطيع ابعادهم عن امتلاك العادات لاننا نحن انفسنا نضرم فيهم نيران الميل الى بعضها اذا كانت علاقتهم معنا قوية اذ يتمكنون من استماع ما نقول ونظر ما نفعل فيرسخ فيهم كل ذلك لما لهم من القوة في تقليد اعمال غيرهم وبما ان الحالة كذلك فالوقت الذي يصير فيه الولد اهلا لعمل من الاعمال هو الوقت المناسب لبدء زرع العادة ولا سيما اذ يكون الولد في عصر اللدونة والتأثر لانه بعد البلوغ تغلظ منه الطباع وتقسو الاميال وتقوى الشكوك ويصير كل جهد في طبع الطباع القويه ضربا من المحال · فالعادات التي تغرس ابان الصبوة في السنين الاولى من الحياة هي العادات الثابتة غير المتزعزعة خلافاً لتلك التي يتعب في تحصيلها بنكران الذات وتحمل المصاعب والمشاق ايام البلوغ فانها مقلقلة ليس لها قرار

قال بعضهم ان الولد ينبغي ان لا يقيد بل يترك في الصبوة على هواه

ليختار لنفسه طريقاً يسير فيها في مستقبل حياته . ذلك عين الخطأ لان تركنا له هو نفس تغييرنا له بما يكتسبه من العوائد التي ينبغي الاقلاع عنها فاقادة الاولاد في طريق قويمة واجبة لان ذلك يكسبهم التعود على الفضيلة فلا تميل بهم اميالهم نحو الشر

ولا يخفى ما للعادة من الشأن العظيم والتأثير البين في الافعال الافرادية التي بدونها لا تشغل حيزاً مهماً في الوجود فلو القتنا الى الافعال بنفسها منقطعة عن الماضي والمستقبل لرأينا كثيراً منها جديراً بالنظر وموجباً للانزعاج والقلق لا يستحق الالتفات اليه غير ان النظر الى ما مضى قوي حتى ان كل من اتخذ على عاتقه تثقيف الاولاد وتهذيبهم يقصر في اداء الواجب عليه ان لم ينتبه كل الانتباه الى كل ما يبدو من الافعال الزهيدة الادبية . وعليه فان المزح القليل واهلاك شيء زهيد يظهر انه مما لا نفع له . وصرف دقيقة سدى يستدعي النظر لان ذلك اول خطوة تعدو به نحو الباطل والاسراف وضياع الوقت

واما اشتراك الولد بحاسات رفيقه وانتباهه الى نفض غبار ثوبه واجتهاده لمحافظته على وقته ووقت غيره فهو خطوة ايضاً تستدعي الالتفات والانتباه اذ انها تعدو به الى الشفقة والتوفير والمحافظة على الوقت فهذه كلها افعال زهيدة قلما ينتبه اليها مع انها هي الاساس الوحيد الذي يبنى عليه صروح مجد الافراد و بالتالي الامة لان ما الامة سوى الافراد

فنستلفت انظار المدرسين وارباب التهذيب من الاباء والامهات ان يهتموا في امر هذه الافعال التي تبدوا للناظرين انها طفيفة ويقدروها حق قدرها لانها حجر زاوية العادات . فان كانت مما يؤدي الى الفضل والنبل اقتضى تربيتها وانماؤها لان قطع جذر الشر ممهد السبيل لامتداد جذيرات الفضيلة

هذا وان غرس العادة يقتضي له وقت طويل لان القوة الادبية التي تصرف في انماء العادة لا يكون لها النفع المطلوب ان استعملت وقتاً قصيراً فهي تحاكي القوة الميكانيكية . وعليه فلا ينبغي ان ينظر نجاح عظيم في التعليم في وقت قصير لان الوثبات الفجائية في الاداب والمعارف مباين لسنة تركيبنا الطبيعي فاذا كان غرس عادة واحدة يقتضي لها مشقة عظيمة . فالاحرى بنا ان لا نجتهدن في زرع عادة اخرى معها في وقت واحد واما اذا كان لدينا عادات كثيرة يلزم تلقينها وغرسها فمن الضروري اعمال النظر في انتقاء الفضلى منها في تركين ومكن العادة عموماً وترسيخها قدمها . فاذا تسنى لنا ذلك نكون قد عدونا شوطاً في تعويدنا الولد على اخضاعه شهواته وقوى نفسه الامر الذي يسوق به التضلع والتثبت في ساحات العوائد الحميدة والفضائل المجيدة على اخصر طريق واسهل منهج ولا يوجد غير طريق لمعاكسة العادة السيئة المكتسبة لان ما لا يحصل بيوم لا يهدم بيوم وعقل الولد الان يصادف لذة في تتميم بعض الافعال

وعليه فما كان قادراً ان يدفع اول تتميم فعل او اول معاودة لذلك الفعل
هو الان ضعيف جداً عن مقاومة المجرى وازدياد المقاومة بالقسوة والعنف
برهان على الجهل بطبائع الاولاد لان هذه القسوة لا يتمكن من ايصالها
الى الغاية وذلك السعي مما يؤدي الى زعزعة اركان طبيعته الادبية فمن
المقتضي ان يرجع التلميذ القهقرى مقتصاً مدرجه ذلك كله تحت مراقبة الاستاذ
ولا طريق اسهل من ذلك والاستاذ مطالب بتحضير كل ما يسهل للولد
اكتساب ما يبدو منه من العادات الحميدة اثناء هذه المراقبة وهذا كما سبق
يقتضي له وقت لان التغير الفجائي مشكوك فيه اكثر من الوثبات الفجائية
وكل ما يعانيه الاستاذ من المشقات في قلع العوائد السيئة يجازى عليه
مضاعفاً لانه يعدو به الى مراقبة الاولاد مراقبة دائمة فلا يتهيأ لهم فيما بعد
اكتساب خصال ذميمة تجبر الاستاذ لمراجعته تجشم المصاعب والاخطار
في قلعها

حكم

الله عزّ وجلّ يمقت المتكبرين ويذلهم ويحب المتواضعين ويرفعهم
العجب ينقص من الشرف والتواضع يزيد فيه وينميه
الجهل والبخل مع التواضع خير من العقل والجود مع الكبرياء

الصرامــة

انه لما رأى الامبراطور يوستنيانوس ان التعديات والشرور قد كثرت في القسطنطينية وطال زمان جريها اقام حاكماً لها رجلاً من المشهورين بالامانة والنشاط والعدل والاقدام والحذق وسلم اليه كل سلطانه ليقاصّ المذنبين واعلن ان حكم حاكم القسطنطينية ينفذ بدون ان يكون قابل الاستئناف وان الامبراطور لا يعفو عن احد · فهذا الاعلان الامبراطوري اوقع الرعب في قلوب كل اهل التعدي والعدوان خلا رجل واحد كان يظن انه غير خاضع للقانون · ففي ذات يوم تعدى على ارملة وسلب منها ما يخصها فسارت الى الحاكم المذكور وشكت امرها اليه

وكان الحاكم يعلم كيف ينبغي ان يتصرف فكتب الى المتعدي كتاباً لطيفاً وتوسل اليه بان ينصف الارملة المسكينة وسلمها التحرير وقال لها خذيه انت اليه · فاخذته وسلمته له · فلما قرأه المتعدي استشاط غيظاً وضربها واهانها بالكلام · فلما رجعت الى الحاكم واخبرته بما توقع له تكدر وطلب المتعدي الى مجلسه ليحاكمه وارسل اليه ورقة الدعوة · فاستهزأ بها وعوضاً عن ان يطيع امر الحاكم سار ليتناول الطعام مع الامبراطور · فعرف الحاكم بذلك فاستأذن الامبراطور بان يسمح له في الدخول عليه وهو

يتناول الطعام ليعرض له امراً فاذن له فدخل وقال « يا ايها المولى اذا كنت لا تزال مصمما على انفاذ الاوامر التي اعلنتها بخصوص المتعدين لا انفك عن خدمة جلالتك بانفاذ اوامرك ولكن اذا كنت قد حدت عن ذلك المشروع الذي يليق بك بحيث يتشرف اشد الناس شراً باحسانك وبالجلوس عند مائـدة طعامك ارجوك ان تتنازل لقبول استعفاءي من خدمة لا اقدر ان اكون فيها على تلك الحال ما لم اكدرك بدون ان انفعك »

فانتبـه الامبراطور الى هذا الكلام وقال « انني لم اعدل قط عما قد صممت على انفاذه فاجعل بحثك في كل مكان فها انا اسمح لك به ولو كان في نفس عرشي فانني انزل عنه لامكنك من انفاذ العدل »

فلما سمع الحاكم هذا الجواب استند عليه والقى القبض على ذلك الرجل المتعدي وهو جالس مع الامبراطور عند مائدة الطعام وساقه الى المجلس وسمع شكوى الارملة وبما ان ذلك الرجل الذي كان على جانب عظيم من القحة والجسارة بات مرتجفاً لا يقـدر ان يحامي عن نفسه بشيء لظهور تعدياته · وجعـله الحاكم الصارم العادل مثالا لنفوذ العدل فحجز املاكه لنفع الارملة · وكان هذا العمل واسطة لقطع التعديات من القسطنطينية زماناً طويلا · فلنقتدي به

على مذبح التضحية
او
الابن الضال

رواية جليلة الفائدة تعريب الست الفاضلة اسمى طوبي الكاتبة البارعة والمعربة الحاذقه وقد اهدت انا نسخة منها تقع في ٢٣٠ صفحة جامعة لكل ما نلذ مطالعتها فتصفحناها فوجدناها حسنة التنسيق محكمة الوضع سديدة المنهج تشف عن مادة غزيره وحكم باهرة فنثني على همة حضرة المعربة ثناءً طيباً ونرجوا لهذه الرواية مزيد الرواج والاقبال ونحث الذين يرغبون مطالعة الروايات الادبية اللطيفة التي تنقضي بها الاوقات وتجمع بين الفائدة والفكاهة ان يطلبوا هذا الجزء الاول من الرواية من حضرة المعربة الفاضلة او من المطبعة الوطنية بعكا

الشراء ولا التأجير

دخل البارون روتشيلد المالي المشهور في فندق بسويسرا طالباً حجز جناح له ولما سأل عن الايجار عين له صاحب الفندق (وكان يعرفه) مبلغاً باهظاً • فلم يجب روتشيلد وسكت مفكراً • فقال له صاحب الفندق • اذا كانت الاجر غالياً فاني لا اتاخر عن تخفيضه • فاجابه روتشيلد — كلا • انا فقط افكر في شراء هذا الفندق بدلا من تأجير جناح فيه

حكم

التواضع من كرم السجايا والكبرياء من خبث النوايا

ثلاثة تورث المحبة الدين والكرم والتواضع

وثلاثة تورث البغض النفاق واللوءم والكبرياء

المتواضع عند نفسه حقير وعند الناس كبير والمتكبر عند نفسه كبير وعند الناس حقير

قال احد العلماء لابنه : يا ابني التمس الرفعه بالتواضع والشرف بالدين والعفو منه تعالى بالعفو عن الناس

التواضع يكسب السلامة والكبرياء تورث الندامة

قيل : ما تكبر احد على اخوانه الا لنقص يجده في نفسه

الكريم المتواضع يهرب من المديح والمديح يتبعه

اللئيم المتكبر يطلب المديح والمديح يبتعد عنه

لا ناصر اعز من التواضع ولا عدو اشر من الكبرياء

اذ رأيت الرجل معجباً برأيه فاعلم ان الجاهل اعقل منه

من عجب بنفسه ذلّ ومن عجب بعقله ضل

تواضع الاديب يدعو الى كرامته وتكبر الجاهل يدعو الى اهانته

ابنة القبطان

٤

«تابع لما قبل»

واخذا يحدقان بهؤلاء الجنود وما يأتونه من الاعمال الحربية . فدهش بطرس من مهارتهم في جميع ضروب الفروسية وتأمل فيهم ملياً واذا هم منقسمون الى ثلاث فرق والقبطان في الوسط يامر وينهي بصوته الجهوري والجميع طوع اشارته . وكان المتفرجون من كل سن وطبقة مرصوصين على الارصفة المناوحة بوجوه باسمة وثغور مفترّة يشاهدون تلك التمرينات التي تأخذ بمجامع القلوب . اما بطرس فلم يشاهد قبلاً مشاهد كهذه ولذا اخذه التحير عندما عاين بعض الفرسان يختطف كل منهم آخر من صهوة جواده وهو لا يدري وخيولهم طوع امرهم يلاعبونها كما يشاؤون فتارة تربض وآونة تثب مظهرة القلب معجبة بفارسها الصنديد . وبعضهم يترجلون ويطلقون الاعنة لخيولهم فتذهب في عرض السهل مضارعة مرور السهم فيتبعونها عدواً وحالما يدر كونها يعلون صهواتها دون مهل . وغيرهم يدورون على خيولهم فيتحولون من ظهرها الى بطنها ومن جانبها الواحد الى الجانب الاخر وهي مسرعة كالبرق . وبعضهم يلصقون

رؤوسهم بصهواتها ويرفعون ارجلهم الى فوق فتذهب بهم كالبرق الخاطف شوطاً بعيداً وهم في هذه الحالة عدا امور اخرى لا يقوى اليراع على وصفها

فلما رآه شغابرين على هذه الحالة من الذهول والاستغراب قال له: اراك تهتز غرابة من هذه المشاهد . فقل لي وابيك ماذا يحل بك لو تشاهد الاستعراض في مدينة بطرسبرج ولا سيما هذه الايام على عهد الامبراطورة الحالية كاترينا المعظمة التي قد رفعت روسيا الى شامخ المجد وذروة السعد وسمت بها الى اوج المدنية والاداب فحدّث عن تلك الاحتفالات ولا حرج .

وفيما هما في مثل هذا الكلام اذ نفخ البوق فتفرقت الفرسان والجنود وعاد كل الى مكانه . اما بطرس فشكر للضابط شغابرين وودعه وهرع الى حيث كان القبطان . فعرفه بنفسه وناوله كتاب الجنرال وذهب في صحبته الى قصره حيث رحب به واكرم وفادته ودعاه لان يقيم عنده في منزله ويكون في جملة اهله . فلبى بطرس شاكراً

ومن هذا الحين اصبح بطرس يمارس خدمته العسكرية بكل امانه ونشاط . وكان مثالا للطاعة والادب والرصانة . فاحترمه اهل القصر واحلوه مقاماً علياً من قلوبهم

وكان للقبطان ابنة وحيدة يقال لها ماري حسنة المنظر لطيفة المعشر

فريدة الجمال كريمة الخلال على جانب عظيم من الآداب والفضيلة وطيبة القلب . ولم يكن يراها احد الا يميل اليها ويرتاح لحديثها . فلما شاهدها بطرس احبها حباً طاهراً وعزم ان يتخذها بغيته من دنياه اذا وفقه الله

اما ماري فاذ رأت من بطرس شهماً عفيفاً طاهر الذيل مالت اليه وكانت لا تسر الا برؤيته ومحادثته فكانا يجتمعان مع بعضهما ويحكمان في قلبيهما علائق المودة الطاهرة التي كانت تشتد مع توالي الايام

هذا والالفة تنمو بين بطرس والضابط شغابرين وتمكنت بينهما اسس المحبة والموالاة حتى صارا اليفين قلما يفترقان . فكان بطرس يتردد اليه في اكثر الاوقات فيرى منه صديقاً حميماً مخلصاً . ولكن هيهات ما تمناه بطرس لان عقارب الخلاف قد دبت بينهما وتكدر عيشهما بعد الصفاء . وذلك لان شغابرين حسد بطرس لما رآه رفيع المنزلة عند القبطان وذويه ولاسيما ابنته ماري فاخذ يتدبر الوسائط اللازمة ليحقره في اعينهم لانه كان في ما مضى من الزمن قد خطب ماري من ابيها فرده خائباً . وهذا ما جعله يضمر لها في قلبه شراً

ففي احد الآصال بينما كان بطرس جالساً في غرفته غائصاً في بحار التأملات اذ دخل عليه شغابرين فحياه وجلس بازائه قائلاً . لا تدهش يا صديقي من مجيئي اليك في مثل هذه الساعة فقد دفعني الى ذلك امر ذو بال

فسأله بطرس متعجباً : وما هو هذا الامر ؟

اجابه : ان الصداقة التي بيننا تقضي عليّ بمكاشفتك في امر عنك وقد ساءني حصوله

فسأله بطرس : ماذا بلغك ؟

اجاب : بلغني انك تود ماري ابنة القبطان وفي نيتك الاقتران بها

فخفق فوءاد بطرس خفوقاً شديداً وانتشر الدم في وجهه لكنه تجلد وقال بسكينة : وما معنى ذلك

مرادي ايها العزيز ان اكاشفك بما في ضميري واطلعك على حقيقة هذه الفتاة ليتحقق لديك صدق طويتي لك

ـ قل ما بدا لك

ـ كنت قبلا قد احببت هذه الفتاة وعلقت آمالي بها الا ان الايام اظهرت لي خطائي اذ وقفت على سوء ادابها ورداءة اخلاقها ولذ فاني اوثر ان تكشف انت ايضاً عن بصيرتك وتخاف على خداع نفسك وتنبذها نبذ النواه

فاضطرب بطرس كانه سمع ما يحط من قدره وقد ادرك من كلام شغابرين انه منطو على نوايا خبيثة غير مستقيمة نحوه وانه لا يريد خيره فاجابه بقسوة ونفور : دع هذا الكلام لانه يسوءني وقد اشتممت منه رائحة العداوة لي . وهلمّ نتكلم في موضوع آخر اكثر فائدة واوفر عائده

فلما سمع شغابرين هذا الكلام امتقع لونه واربدّ وجهه وخاطب بطرس بصوت ابح وقد خنقه الغيظ : او الى هنا بلغت منك الجسارة حتى قد فتني بهذه المطاعن التي انا براء منها . فلا بأس لان كل اناء بالذي فيه ينضح . ثم نهض لساعته وخرج من الغرفة حانقاً اشد الحنق . وهكذا صرم حبل الصداقة الذي كان متيناً بين هذين الصديقين ...

بعد ان اتى على الحادثة المذكورة ثمانية ايام كان بطرس جالساً في غرفته غائصاً في لجة من الافكار واذا برسول من لدن القبطان قد دخل عليه وبعد السلام اخبره بان القبطان يدعوه لمواجهته . فقام بطرس لساعته وانطلق مع الرسول

ولما دخل قاعة الاستقبال الفى القبطان جالساً على مائدة وقد اسند رأسه بيده وعلائم الحيرة بادية على وجهه وحوله نفر من الضباط كأن على رؤوسهم الطير . فاستغرب بطرس ذلك ولم يفقه كنه الامر . فرفع القبطان رأسه وخاطب جمهور الضباط قائلاً . لقد ارسل لي اليوم حضرة الجنرال (اورنبورج) كتابا تضطرب الجوانح من قراءته لما فيه من وصف الاخطار التي ستفاجئنا عما قليل قال هذا واخرج من جيبه رقعة وقرأ ما ياتي

الى حاكم قلعة الجبل الابيض القبطان ميرانوف . باسف اخبركم عن حادث جلل ظهر في ولايتنا وهو ان احد القوزاق المدعو بوكاتشوف تمرّد على الدولة وقاد جانبا كبيراً من الشعب ليثور على الحكومة مدعيا انه

الامبراطور بطرس الثالث زوج الامبراطورة كاترينا الثانية وقد اعلن هذا الانسان بانه يود الزحف على مدينة بطرسبرج بقصد اغتيال الملكة زوجته (حسب زعمه) وتنصيب ابنه مكانها فصدقه كثيرون من ذوي العقول الساذجة وانضموا تحت رايته واكثرهم من طوائف نهر فولغا الذين تربصوا ينتظرون حجة تمكنهم من الثورة ضد الحكومة لارجاع حريتهم واملاكهم التي سلبتها منهم في ما فرط من الزمن . واعلموا ايضاً تحت لوائه عدداً غفيراً من القوزاق احتشدوا اليه لانهم كانوا يتوقعون هذه الغرة للانتقام من الحكومة على ما عاملتهم به من الصرامة والقسوه . وهذا العدو الشديد البأس يطوف الان في نواحينا مع اعوانه واخصائه مهاجماً القلاع وعاملا على سلب وقتل من يقع في يده من رعايا الدولة حتى استفحل امره وتفاقم شره . فاحب منك ايها القبطان ان تكون على حذر من هذا الثائر وتبذل ما استطعت من الجهد وما في وسعك من الدهاء في الضرب على ايدي هؤلاء العصاة وكبح جماحهم وانا مطلق لك ان تصنع ما شئت وتتذرع بكل ذريعة يفتح عليك بها ذكاؤك والسلام

وما فرغ القبطان من قراءة هذا الكتاب الا اطرق جميع الضباط الى الارض يتفكرون وقد اربدت وجوههم واضطربت خواطرهم . فلحظ منهم القبطان ذلك واخذ يحثهم على الشجاعة والثبات وطلب منهم ان يكتموا مضمون الكتاب لئلا ينتشر على الالسنة فيقع الجبن والذعر في

قلوب الاهلين . فوعدوه باجابة مبتغاه وقالوا له بصوت واحد : ثق ايها القبطان بان مقارعة الاهوال وركوب الاخطار لا تهولنا ولا تروعنا مادامت جذوة حب الوطن مشتعلة في افئدتنا . . فلا نسلم القلعة لهذا الزنيم زعيم هؤلاء العصاة

ثم انصرفوا الى بيوتهم وموعدهم الالتقاء والتفاوض في فرصة اخرى ولكنهم عبثاً حاولوا كتمان هذا النبأ لان الالسن تناقلته من جماعة الى آخرى ومن فريق الى آخر حتى اصبح موضوع تحدث الجميع على اختلاف طبقاتهم

اما بطرس فقلق لهذا الامر اشد القلق لانه خاف ان تكون عواقبه حائلة دون سعادته والاجتماع بماري . ولذلك قضى اياماً متوالية وهو يهاجم جيوش الافكار المتضاربة في دماغه لا يبي على شيء . اخيراً توجه الى قاعة القبطان فوجد عنده بعض الضباط فجلس بينهم وطرح عليهم امر العذارى والنساء مشيراً ان يرسلوهن الى اورنبورج لانها بمأمن من الاعداء فوافقوا جميعاً وفي هذا الوقت دفع الباب ودخل الحجرة رجل قوزاقي تقدم الى القبطان وناوله كتاباً دون ان ينبس ببنت شفة فتناوله القبطان وفضه واذا هو مرسل من الثائر بوكاتشوف بتوقيع صاحب السدة الروسية الامبراطور العظيم الشأن بطرس الثالث . وزبدة ما فيه ان هذا المدعي يامر القبطان بالاذعان وتسليم قلعة الجبل الابيض له والا فيزحف عليه

بخيله ورجاله ويفتك به وبقومه فتكا ذريعاً

فلما سمع الضباط ذلك زاد قلقهم واضطرابهم والتهبت افئدتهم غيظاً وحنقاً الا ان ذلك كان ادعى الى اعتصامهم بالشجاعة والثبات الى ان يقضي الله امراً كان مفعولا . وقد وطنوا النفس اجابة لاقتراح بطرس على ارسال العذارى والنساء في صبيحة اليوم التالي الى مدينة اورنبورج ...

بعدئذ استدعى القبطان الرسول وتكلم معه فلم يحر جواباً فاعاد عليه الكلام باللغة التترية فلم يحصل منه على طائل ولما يئس من اقراره امر بطرحه على الارض وجلده . فجثا عندئذ الرسول امامه وفغر فاه واذا هو خال من اللسان فعفا عنه واطلق سراحه . ثم تفرق الضباط على امل ان يعودوا في الغد للمذاكرة بهذا الشأن .

ولما صار المساء وخيم الظلام القى بطرس نفسه على سريره اعياء من من شدة التهاب قلبه واشتغال بلباله ولاسيما لانه كان وجلا على ماريه من ان يصيبها اذى بسبب هؤلاء القوزاق الثائرين وقد تمثلت له اذ ذاك حوادث رائعة ومعارك شديدة زادت هواجسه واشغلت مخيلته . ومازال يتقلب فراش الوساوس الى ان بزغ الفجر ولم يكتحل طرفه باثمد الكرى فقام وارتدى ثيابه واراد الخروج واذا بخادم القبطان آت مكفهر الوجه مرتعش البدن وحالما وصل اليه صاح : بلاء عظيم يا سيدي فان جيوش الاعداء قد احاطت بالقلعة وها نحن في حالة الاسر المبين . اما القوزاق

الذين كانوا عندنا فقد هربوا ليلاً مع الضابط شغابرين وانحازوا الى العدو

فبهت بطرس حائراً ولبث واقفاً كانه قطعة من جماد وكانت كل كلمة من كلمات الرسول سهماً نافذاً في فوءاده . ولما آب اليه روعه سأله واين الان حضرة القبطان

اجاب : اني تركته على الرابية يجمع العساكر

ـ وهل خرجت ماري مع العذارى

ـ كلا يا سيدي لاننا لم نر لهن مخرجاً

فازداد اضطراب بطرس وقد تأوه وسالت من مقلتيه الدموع السخينة احر من الجمر فغادر حجرته وهرول الى الرابية حيث كان القبطان محاطاً بالضباط والجنود وهو يلقي عليهم الخطب الحماسية ويستفز هممهم الكفاح والدفاع واذ تفرس بطرس فيهم راى علامات الفشل ظاهرة على وجوههم فعلم ان الامر عائد للاعداء لا محالة ولاسيما لان جميع القوزاق الذين كانت تناط بهم الآمال في مثل هذه الاحوال خرجوا من القلعة وانضموا الى جيش الاعداء الامر الذي جعل القلعة غير حصينة فاستحوذ عليه من جراء ذلك الغم والهم ورفع طرفه الى الاسوار فالفاها وقد احاطها الاعداء احاطة الاسورة بالمعاصم وهم يصرخون ويتهددون وكان ذلك عام ١٧٧٣

« لها تابع »